عند نهاية الحرب التي لا نهاية لها
وعند بداية السلام الذي لا بداية له

حساب النفس
وخداع النفس

محمود درويش

● قد يكون من الصعب التوصل الى قناعة عامة بأن المشروع الصهيوني على أرض فلسطين قد دخل مرحلة بداية النهاية .

ولكن ، ليس من الصعب القول ان التجربة ، ذات الجوهر الواحد في هذا المشروع تواجه بعد الحرب الاخيرة ، أخطر مفترق طرق في تاريخ اسرائيل .

وبعيدا عن تفاصيل الصراع والحيرة داخل اسرائيل ، فان الازمة الاسرائيلية ، كما يبدو في هذه المرحلة ، تنبع من صعوبة الاختيار الذي يفرضه مفترق الطرق الغامض الذي أوصلت الطريقة العسكرية المجتمع الاسرائيلي اليه .

ولا تعود صعوبة الاختيار الى تردد الاهداف الصهيونية وحيرتها ، فهي واضحة لاصحابها ، ولكنها تعود الى اعادة حساب القدرة على تحقيق هذه الاهداف وتطبيقها . ان اسرائيل لم تتغير ، وجوهرها الصهيوني لم يطرأ عليه اي تعديل . ولكن مناخ المنطقة هو الذي تغير وفرض على الاسرائيليين ضرورة البحث عن نوع من التغيير في أساليبهم .

لقد دخل المشروع الصهيوني العام الاول من ربع القرن الثاني . كان عيدهم الاخير أكثر الاعياد حزنا . ذرفوا من الدموع أكثر مما كانوا يذرفون في ذكرى أيام السبي ، حتى كادت هذه الدموع تغرق المراقبين العرب وتجعلهم يحسبون الزمن الباقي من عمر اسرائيل بالايام والساعات .

فهل تشعر اسرائيل بأنها مهزومة فعلا ؟ .

ان حساب الهزيمة ، في العقلية والنفسية الاسرائيلية ، يختلف عن الحساب المعتاد . ان مجرد كونهم لم ينتصروا في الحرب الاخيرة يخلخل قناعتهم ، ويدفعهم الى الادراك بأنهم قابلون للهزيمة . أي : أن عدم انتصارهم هو بداية هزيمتهم . ولعلهم قد افاقوا على هذه الحقيقة بشكل مفاجيء جعلهم يتحسسون جلودهم وعقولهم . لقد ماتت فيهم قناعة الصخر ، وولدت فيهم أسئلة كان يجب عليهم ان يطرحوها منذ زمن طويل . ان كل ما كانوا يدعونه من حق كان يدعم بشرعية القوة حتى تحولت هذه القوة الى الاداة الوحيدة لصياغة المجتمع الاسرائيلي ووقايته . وحين تعرضت هذه القوة — الناموس الى خدش ، وجد الاسرائيليون أن كل دعائمهم ومحاكماتهم الفكرية والاجتماعية قابلة للانهيار . حتى أن « الحق » على فلسطين الذي خاضوا تحت لوائه أربع حروب ليس حقا ممتنعا عن الطعن والشك فيه .